إسرائيل تستفز غزة وتعتدي على سكانها

كتبه مصطفى يوسف | 10 ديسمبر ,2015

يبدو واضحًا للجميع أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تريد أن تستفز قطاع غزة، وأن تخرجه عن صمته رغم أنه فاعل شعبي وغير صامت، فجماهير القطاع تتحرك وتغلي، وتثور وتنتفض، وتتوق لأن يكون لها دور ومساهمة في فعاليات الانتفاضة الشعبية، علمًا أن القطاع قدم خلال الشهرين الماضيين ما يزيد عن الـ20 شهيدًا، إلا أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تريد أن تجبره وفصائله وقواه على الرد عليها، وإطلاق الصواريخ على بلداتها ومستوطناتها، فهي تتعمد هذه السياسة، وتتعجل الوصول إلى هذه النتيجة، وتقوم بأي شيء من شأنه أن يوصلها إلى هدفها، وأن يحقق لها ما تريد، وإن كانت تتوقع أن يلحق بها وبمستوطناتها بعض الضرر، وأن يصيبها ومستوطنيها بعض الأذى نتيجة العودة إلى القصف الصاروخي، إلا أن الكيان الصهيوني لم ينجح في مخططه، لم يصل إلى غرضه، ولم تحقق الفصائل أمنيته.

أنا لا أستطيع أن أصف الفصائل الفلسطينية بالحكمة والعقلانية، والرشد والاتزان، وأنها لا تستجيب إلى الاستفزازات الإسرائيلية ولا ترد عليها، ولا تنجر إلى مخططها، إحساسًا منها بالمسؤولية، وإدراكًا منها للأمانة التي تحمل، وحرصًا منها على الشعب ومصالحه وعلى الانتفاضة واستمرارها، وكأنها تعرف نوايا الاحتلال ولا تريد أن تمكنه مما يريد، فهي تعرف خطورة الانزلاق في هذه المرحلة إلى حرب جديدة تعطي العدو كل المبررات لاستخدام ما لديه من أسلحة، في الوقت الذي تصم فيه أذنيها عن أي نداءات أو مناشدات بوقف عملياتها واعتداءاتها المتواصلة على الفلسطينيين في

الضفة الغربية.

كما لا أستطيع أن أتهمها بالعجز والخور، الضعف والتفكك، قلة الحيلة وانعدام القدرة، وأنها لا تملك القوة لمواجهة الاعتداءات الإسرائيلية، ولا تستطيع الرد عليها مخافة ردة فعل العدو التي قد تكون قاسية وصعبة، وكما يصفها قادة جيش كيانهم، بأن ردهم سيكون مزلزلًا ومفزعًا، استنادًا إلى ما ينسب إلى رئيس أركان جيش الاحتلال موشيه يعلون "أن من يرفع يده علينا فسيدفع ثمنًا باهظًا جدًا"، ولهذا تتحسب الفصائل من الرد، وتمتنع عن الإتيان بأي عمل أو تصرف يكون من شأنه إطلاق يد الاحتلال من جديد في قطاع غزة، وسيكون من شأن قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بعمليات عسكرية واسعة في القطاع، أن تلفت الأنظار عن الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وأن تشغل المجتمع الدولي عنها، وهو الذي لا يبدي اهتمامًا كبيرًا بما يحدث في الضفة الغربية.

دعونا في ظل صمت الفصائل وتوقف صواريخها عن استهداف البلدات الإسرائيلية، أن نتساءل عن الأسباب التي تدفع دورية إسرائيلية تتحرك على الحدود في موازاة السور الفاصل والأسلاك الشائكة القائمة بين قطاع غزة والأرض المحتلة عام 48، لإطلاق النار على المواطنين الفلسطينيين، الاعتداء على المزارعين، إفساد وتخريب البساتين والحقول، وتجريف أرضها وخلع أشجارها.

ولماذا تقوم بإرهاب المواطنين، ترويع المارة، وتخويف تلاميذ المدارس، علمًا أن دبابات العدو الرابضة على الجانب الآخر من الحدود، تقوم من وقت لآخر بإطلاق قذائفها على مناطق خالية أو أراضٍ زراعية في قطاع غزة، في الوقت الذي تغير فيها طائراتها الحربية على مواقع لقوى المقاومة، أو تستهدف مباني خالية، أو تقوم بغارات وهمية مخيفة في سماء القطاع، كما تقوم طراداتها وقطعها البحرية بإطلاق النار على الصيادين الفلسطينيين واعتقال بعضهم، وحجز أو إغراق مراكبهم الصغيرة.

علمًا أن قيادة أركان جيش الاحتلال لا توقف الطيران المروحي فوق قطاع غزة، إذ تحلق الطائرات العمودية في سماء القطاع على مدى الساعة، كما لا يتوقف الطيران الحربي عن التحليق على ارتفاعات منخفضة وإن كان لا يقصف أحيانًا، كما تنشط وسائل التجسس والمراقبة والتنصت والتصوير ومهام المناطيد، وتفعل المخابرات الإسرائيلية خلاياها الأمنية وشبكاتها التجسسية في القطاع، وتحاول استخدامهم في توريط غزة للوصول إلى الأهداف المرجوة، التي منها تداخل الأوراق واختلاط الأمور ببعضها، وصولًا إلى إنهاء الانتفاضة.

أليست هذه التصرفات والأعمال الاستفزازية متعمدة ومقصودة، وأنه لها أسبابها ودوافعها وما يبررها، إنها كما يسميها الفلسطينيون "جر شكل"، فالعدو يقوم بهذه الأعمال وغيرها، وهي ليست غريبة عليه ولا جديدة في سياسته، بل إنه قد تعود عليها منذ أن نشأ، وهي قد تكون طبيعية و"مبررة" إذا جاءت في سياق رد الفعل أو رد الاعتبار، أو معاقبة جهة وتأديبها أو ردعها.

لكن العدو يستعجل بها الخطى، ويحاول اختصار الزمن، لأنه يعيش مأزقًا ويواجه مشكلة الانتفاضة التي يشتد عودها ويتسع إطارها ويمتد فعلها، وهو عاجز عن إيجاد أي حل لها، فلا هو

قادر على إنهائها، ولا هو قادر على التفاوض مع السلطة لتطويقها والسيطرة عليها، فقد أعياه أنه ليس لهذه الانتفاضة رأس، ولا يوجد لها قيادة يمكن من خلالها التفاوض والحوار، والضغط والمساومة والتهديد والتلويح بما هو أخطر.

الفلسطينيون في قطاع غزة بين خيارين أحلاهما مر، فهم لا يستطيعون النأي بأنفسهم والابتعاد بأبنائهم عن الانتفاضة وفعالياتها، وهذا بالنسبة لأبناء القطاع أمر مؤلم وقاسي، موجع ومؤذي، مخزي ومعيب، ومهين ومذل، إذ لا يرضون أن يغلقوا على أنفسهم الأبواب، ويرضون من الحياة بالقعود والكسل، دون أن تكون لهم مشاركة في النضال ومساهمة في فعاليات الانتفاضة.

وفي الوقت نفسه يدرك الفلسطينيون مرامي العدو وأهدافه، ومخططاته وأحلامه، ويعلمون أنه لا أخلاق عنده ولا قيم تحكمه، فقد يجد نفسه مضطرًا إلى ركوب الصعب، وتوسيع دائرة الحريق، وإشعال فتيل الأحداث في مناطق أخرى يكون فيها حرًا في استخدام قوته وأسلحته الحديثة، وهذا الأمر من شأنه فعلًا أن يكون مبررًا منطقيًا ومقبولًا له، لتوسيع دائرة العمليات العسكرية لتكون حربًا أو قصفًا مدمرًا، فهل يكون صمت القوى والفصائل حكمة وعقلانية، أم يكون عجزًا وخورًا، وضعفًا وجبنًا؟

رابط المقال : https://www.noonpost.com/9353/